معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة العاشرة، العدد الحادي عشر ٢٠١٥م

عناصر القوة بين الأخذ والترك.. وأثر ذلك في نهضة الأمة

عيادة بن أيوب الكبيسي*

Abstract

It is no secret to the knowledgeable people what the Muslim Umah is passing through these days; the dissolution of its unity, disunity in speech and delay in its march. This matter calls upon every Muslim to reflect on, then strives to find appropriate solutions by mean of which the Umah can recover, and gain back its past glory and sovereignty. That can be by clarifying the elements of moral strength that is represented in the faith in Allah and trust in Him, working on self-purification and refinement, the achievement of fraternity, social solidarity, constructive dialogue, laying the foundations of the principle of consultation, concern for the family and so on. That can also be by clarifying the elements of material strength, which is reflected in the preparation of the force, achieving unity, abundance of production, protection of the gains, capacity development and so on. The research also addressed the consequences of failing to achieve the foregoing, and ways to avoid them. The research also presented some recommendations and constructive proposals. The approach taken in this research is inductive interpretative approach of the verses on the subject of search.

* أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية الشريعة . جامعة الشارقة.

الحمد لله العزيز الوهاب، خالق الخلق ومسبب الأسباب، سبحانه وهو القائل في محكم الكتاب: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾[١]، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على معلم الناس الخير، أفضل رسول وأكرم هاد، وعلى آله وأصحابه، وأنصاره وأحبابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

لا يخفى ما تعانيه أمة الإسلام هذه الأيام من تفكك في وحدتها، وتمزق في صفوفها، وتأخر في مسيرتها، مما أصبح لزاماً على المسلم أن يتأمل في أسباب ذلك، ثم يجتهد في إيجاد الحلول، ورسم المعالم التي تضيء طريق النهوض من جديد، وتمهد للعودة الحميدة إلى سالف عز الأمة، واسترداد مجدها وتبوء مكانتها.

من هذا المنطلق جاء هذا البحث، مهتديا بآي الذكر الحكيم، التي تنزلت على نبي هذه الأمة وخاتم النبيين محمد بن عبد الله صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين، قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، فقد كانت آيات بينات جلية، تنطق بسر ذلك، وتكشف عن سبيل التدارك، حية طرية كأنها تتنزل اليوم، تصف الداء، وتمنح الدواء، وتضيء الطريق للريادة والقيادة.

وبعد الاستخارة وتوفيق الله تعالى اهتديت إلى كتابة هذا البحث الذي جاء بعنوان:

" عناصر القوة بين الأخذ والترك.. وأثر ذلك في نهضة الأمة"

والذي اشتملت خطته على الآتي:

مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، وبعض التوصيات والمقترحات.

أما المقدمة: فهذه.

وأما التمهيد: ففي تعريف القوة، وبيان المراد بها.

وأما المبحث الأول: ففي عناصر القوة وأقسامها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عناصر القوة المعنوية.

---

١ سورة القمر، آية: ٤٩.

ويندرج تحته: الإيمان بالله تعالى، والتوكل عليه، وطاعته، والعمل على تزكية النفوس وتهذيبها، وتحقيق الأخوة الإسلامية، والتكافل الاجتماعي، والتغيير الذاتي الداخلي، والتربية الروحية، والعدالة الاجتماعية، والحوار الهادف بين الجماعات الإسلامية من جهة، وبين المسلمين وغيرهم من جهة أخرى، وتحقيق مبدأ الشورى الذي أرسى دعائمه الإسلام، والاهتمام بالأسرة وحسن رعايتها وتوجيهها، ونحو ذلك.

المطلب الثاني: عناصر القوة الحسية.

ويندرج تحته: إعداد القوة، مما يحقق ما يسمى في زماننا باستراتيجية الردع، وتحقيق الوحدة، ووفرة الإنتاج وحماية المكاسب، وتطوير القدرات، ونحو ذلك.

المبحث الثاني: عواقب عدم الأخذ بعناصر القوة.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عواقب الإخلال بالعناصر المعنوية.

وما ينتج عن ذلك من الفساد والظلم، والتفسخ الخلقي ونحو ذلك، مما ينعكس سلبا على نهضة الأمة ويعوق تقدمها وازدهار حضارتها.

الثاني: عواقب الإخلال بالعناصر الحسية.

مما يطمع فيها أعداءها، ويشغلها عن أسباب النهوض، ويقضي على مقومات الإبداع فيها، ويعرقل حركة النمو الاقتصادي فيها أو يشلها، مما يجعلها فريسة سهلة لكل طامع في السيطرة عليها وابتزاز خيراتها.

وأما الخاتمة: ففيها أهم ما سيسفر عنه البحث من نتائج. ثم توّج البحث ببعض التوصيات والمتقرحات الهادفة. والله تعالى هو الموفق والمستعان.

تمهيد:

تعريف القوة:

القوة ـ بضم القاف وتشديد الواو ـ: ضد الضعف، جمع قُوى ـ بضم القاف وكسرها كالقِواية ـ بالكسر ـ، قوي الضعيف كرضي قوة ـ كان ذا طاقة على العمل ـ فهو قوي، والجمع أقوياء، وقوي على الأمر: أطاقه، وتقوّى واقتوى وقوّاه الله تعالى تقوية، قال رؤبة: وقوة الله بها اقتوينا[٢] .

والقوة: هي تمكن الحيوان من الأفعال الشاقة.. وتأتي بمعنى القدرة[٣] .

وقال ابن عاشور ـ رحمه الله تعالى ـ: والقوة حقيقتها حالة في الجسم يتأتى له بها أن يعمل ما يشق عمله في المعتاد، فتكون في الأعضاء الظاهرة مثل قوة اليدين على الصنع الشديد، والرجلين على المشي الطويل، والعينين على النظر للمرئيات الدقيقة، وتكون في الأعضاء الباطنة مثل قوة الدماغ على التفكير الذي لا يستطيعه غالب الناس، وعلى حفظ ما يعجز عن حفظه غالب الناس، ومنه قولهم: قوة العقل، وقال: وتطلق مجازا على شدة تأثير شيء ذي أثر، وتطلق ـ أيضا ـ على سبب شدة التأثير، فقوة الجيش شدة وقعه على العدو، وقوته ـ أيضا ـ سلاحه وعتاده[٤] .

ونستخلص من ذلك، أن القوة على نوعين:

قوة معنوية: تتمثل في رجاحة العقل، وسلامة التفكير، ورباطة الجأش، وثبات القلب، وشدة التأثير.

وقوة حسية: تتمثل في صحة الجسم، والقدرة على أداء الأعمال، وشدة البأس، والطاقة على التحمل، وامتلاك السلاح والعتاد، وما يتقوى به على الأعداء.

---

٢ انظر: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٧/١٥. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٥٥٢/٤. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٣٠٦/١٠. إبراهيم أنيس وغيره، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، المعجم الوسيط، القاهرة، ٧٦٨/٢، مادة: قوي.

٣ انظر: علي بن محمد بن علي الجرجاني، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٢٣١.

٤ انظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للطباعة، تونس، ٩٩/٩.

المبحث الأول
عناصر القوة وأقسامها

المطلب الأول: عناصر القوة المعنوية:

نبدأ بالقوة المعنوية لأنها الأصل في تحقيق ثمار القوة الحسية، وبدونها قد تعود هذه القوة وبالاً على أصحابها، مما يؤدي إلى الانتكاس والارتكاس بدل النهوض والارتقاء.

ويندرج تحت هذه القوة أمور كثيرة من مثل: الإيمان بالله تعالى، والتوكل عليه، وطاعته، والعمل على تزكية النفوس وتهذيبها، وتحقيق الأخوة الإسلامية، والتكافل الاجتماعي، والتغيير الذاتي الداخلي، والتربية الروحية، والعدالة الاجتماعية، والحوار الهادف بين الجماعات الإسلامية من جهة، وبين المسلمين وغيرهم من جهة أخرى، وتحقيق مبدأ الشورى الذي أرسى دعائمه الإسلام، والاهتمام بالأسرة وحسن رعايتها وتوجيهها، ونحو ذلك، من مثل: اكتساب العلوم التجريبية النافعة وفق مقتضيات العصر، والاستفادة الكبيرة من سائر وجوه التقنية الحديثة.

وكلها أمور جديرة بالبحث والتأمل، ولكن لضيق الوقت سنقف قليلا عند أربعة منها، تمثل المحور الأساس في تحقيق هذه القوة في الإنسان، وإذا ما تم التحقق بها دعت إلى التحقق بالأمور الأخرى، نشير إشارة سريعة إلى التعريف بها وبيان شيء من ثمارها بحسب ما يسمح به المقام، وهي:

١. الإيمان بالله تعالى:

ويعني اعتقاد وجود الله تعالى وثبوت وحدانيته، وذلك عن طريق التصديق بكل ما جاء به محمد ﷺ، وأهم ما يحتاج إليه في تحقيق ذلك هنا: سلامة القلب من شوائب الشرك والنفاق، والتسليم لقضاء الله تعالى وقدره، والاعتقاد بأن الله تعالى فعّال مطلق، يفعل ما يشاء سبحانه ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، وأن ذلك كله يجري وفق الحكمة الإلهية، ومن ذلك: رقي الأمم أو انتكاسها، ومن شأن ذلك أن يحفز إلى الجد والعمل، وبذل الجهد للعودة بالأمة إلى

سالف مجدها، لأن ذلك كله من مقتضيات الإيمان ومتطلباته، إن الإيمان الصحيح يولد به المرء ولادة جديدة، ويحيا به حياة رشيدة .كما يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى .، ويتحول قوة دافعة إلى فعل الخير ونصرة الحق، كما يتحول الوقود في الآلة إلى حركة دوارة، ويعيد تشكيل الكيان الإنساني على نحو يجعل المرء تابعا لله في هذه الدنيا، فهو باسمه يصول، وباسمه ينطلق[٥] . "ولا يغيب عن الأذهان أن حضارة لا تقوم على الإيمان بالله فهي حضارة عمرها قصير، والحضارة التي تشقي أصحابها وغيرهم لا بد وأن يلحقها عقاب القدر يوما"[٦] ، وما الانتكاسة التي منيت بها أمتنا في عصرها الأخير إلا بسبب الإخلال بهذا الجانب الذي أصاب عددا غير قليل من ذوي القيادة والريادة كما لا يخفى!!

٢. **التوكل على الله تعالى**: وهو بمفهومه الشرعي لا يعارض الأخذ بالأسباب، وإنما يعارض الاعتماد عليها، ولذا نرى أن الله تعالى بعد أن امتنّ على المؤمنين بتأييدهم بالملائكة في بدر قال: ﴿ **وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ** ﴾[٧].

قال الرازي رحمه الله تعالى: الغرض منه أن يكون توكلهم على الله لا على الملائكة، وهذا تنبيه على أن إيمان العبد لا يكمل إلا عند الإعراض عن الأسباب، والإقبال بالكلية على مسبب الأسباب[٨] ، فإن كلامه هذا يفيد أن المسلم يأخذ بالأسباب ولكن لا يعتمد عليها، إنما يعتمد على الله تعالى وحده، وقد أوضح ابن عطية رحمه الله تعالى معنى التوكل فقال[٩] : والتوكل على الله من فروض الإيمان وفصوله، ولكنه مقترن بالجد في الطاعة والتشمير، والحزامة بغاية الجد، وليس الإلقاء

---

٥ انظر: محمد الغزالي، هذا ديننا، دار الشروق، القاهرة، ص٨١-٨٢، حيث فرق الشيخ رحمه الله تعالى بين الإيمان الصحيح والإيمان المزيف الذي لا يصنع شيئا، ويجعل الإنسان تابع هواه فحسب.

٦ انظر: عبدالله سلامة نصر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، الأزمة الفكرية المدمرة في الأمة الإسلامية، المنشور في مجلة الدراسات الإسلامية التي تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، باكستان، عدد ١ مجلد ٢٢.

٧ سورة آل عمران، آية: ١٢٦.

٨ انظر: محمد بن ضياء الدين عمر الرازي، التفسير الكبير "مفاتيح الغيب"، دار الفكر، بيروت، ٢٣٦/٨.

٩ انظر: عبد الحق بن عطية الأندلسي، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الدوحة، قطر، ٤٠٠/٣.

باليد وما أشبهه بتوكل، وإنما هو كما قال عليه السلام: (قيدها وتوكل)[١٠]، ويفيد الحديث الشريف أن النبي ﷺ أرشده إلى الأخذ بالأسباب المتاحة وفق ما شرع الله تعالى، فهو يربط ناقته ويحكم وثاقها، ثم يصدق الوجهة إلى الله تعالى، ويحسن الاعتماد عليه في أن يحفظها له، وقد نقل القرطبي هذا المعنى للتوكل ونسبه إلى عامة الفقهاء فقال رحمه الله تعالى: إن التوكل على الله هو الثقة بالله، والإيقان بأن قضاءه ماض، واتباع سنة نبيه ﷺ في السعي فيما لا بد منه من الأسباب، من مطعم ومشرب، وتحرز من عدو، وإعداد الأسلحة، واستعمال ما تقتضيه سنة الله تعالى المعتادة[١١].

وإن أمة الإسلام اليوم بأمسّ الحاجة إلى تحقيق مفهوم التوكل في حياتها، وفق ما شرعه لها رسول الله ﷺ، فقد ضرب أروع مثال لذلك في أول يوم من هجرته المباركة، إذ أخذ بالأسباب المشروعة يوم هاجر خفية، ودخل الغار مختبئا، واتخذ الدليل، وسلك طريقا مغايرا لأجل التعمية، وما إلى ذلك من الاحتياطات، ولكن قلبه الشريف لم يلتفت إلى شيء من ذلك، بل هو مرتبط بربه الأعلى جل وعلا، لم يتحول عنه طرفة عين، ولذا فإنه لما قال له صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى قدمه لرآنا، قال له ﷺ كلمته المشهورة: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)[١٢]، فسجلها القرآن آية تتلى ما بقي الزمان، حيث قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ

١٠ أخرجه الترمذي برقم ٢٥١٧ عن أنس رضي الله تعالى عنه، وبلفظ: قال رجل: يا رسول الله، أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: (أعقلها وتوكل). قال الترمذي: وهذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وقد روي عن عمرو بن أمية الضمري عن النبي ﷺ نحو هذا، كتاب صفة القيامة ٥٧٦/٤ باب: ٦٠، وأما لفظ: (قيدها وتوكل) فانظره في: المقاصد الحسنة رقم ١٢٨ ص٨٥، وكنز العمال رقم ٥٦٩٨ في التوكل ١٠٤/٣، ومسند الشهاب ٣٦٨/١ رقم ٤٠٧، والمستدرك ٦٢٣/٣ وقال الذهبي: وسنده جيد، وإتحاف السادة المتقين ٥٠٧/٩ وقال: رواه ابن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد، ولم أجده عند الطبراني.

١١ انظر: محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٨٩/٤، وقال: وإلى هذا ذهب محققو الصوفية، لكنه لا يستحق اسم المتوكل عندهم مع الطمأنينة إلى تلك الأسباب، والالتفات إليها بالقلوب، فإنها لا تجلب نفعا، ولا تدفع ضرا، بل السبب والمسبب فعل الله تعالى، والكل منه وبمشيئته، ومتى وقع من المتوكل ركون إلى تلك الأسباب فقد انسلخ عن ذلك الاسم..إلخ.

١٢ متفق عليه، أخرجه البخاري برقم ٦٦٣، ومسلم برقم ٢٣٨١ في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب فضل أبي بكر رضي الله عنه ١٢٣/١٥.

﴿ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ الآية [١٣].

إنّ التوكل الصادق بهذا المفهوم الشامل، هو أساس كل خير دنيوي وأخروي، وهو أحد السبل النيرة في نهضة الأمة ورقيها، واستقامة أحوالها، واستعادة مجدها وأيام عزها، كما كانت عليه في سالف أمرها، فينبغي أن تتضافر الجهود لإحياء مفهوم التوكل الصحيح في حياة الأمة بلا إفراط أو تفريط.

٣. الاجتهاد في تزكية النفوس وتهذيبها:

النفس البشرية ذات تكوين عجيب وخلق بديع، شاءت القدرة الإلهية أن تجعلها قابلة للخير وقابلة للشر، ولعظيم أمر هذه النفس أقسم الله تعالى بها، ونكرها تفخيما لها فقال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [١٤].

وأمر تزكية النفوس وتهذيبها له علاقة وثيقة بنهضة الأمم ورقيها، كما يرتبط ارتباطا وثيقا بأسباب القوة الحسية الآتية، لأن النفس البشرية ما لم تتزك وتتطهر من رذائل الأخلاق، وتتبرأ من أرجاسها الحسية والمعنوية، فقد تستعمل عناصر القوة التي من شأنها النهوض بالأمة استعمالا سيئا يوصل إلى الصورة المغايرة، أي إلى الانتكاس والتقهقر، وفي الأمة اليوم نماذج من هذا، وهي معلومة وواضحة، لسنا بحاجة إلى ذكر نماذج منها، ولا يخفى كيف أن الإسلام قد عني بتهذيب العقول، وتربية النفوس، مما كان له أثر بالغ في سر نهضة المسلمين في عصورهم الزاهرة.

٤. التكافل الاجتماعي:

من عظمة التشريع الإسلامي مراعاة مصالح الناس، ولذا فإنا نرى أن الله تعالى حين شرع حق التملك، لم يقف عند هذا الحد، وإنما شرع في ذلك الحق قوانين متنوعة، منها قانون الزكاة وقانون النفقات وقانون الوقف، وقانون الوصية، وقانون النذور، وقانون الكفارات، ونحو ذلك من الحقوق والواجبات المترتبة على

---

١٣ سورة التوبة، آية: ٤٠.

١٤ سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

المال. وحتى هذه القوانين ليست هي الحد النهائي في التشريع، بل أوجب الله تعالى في المال أمرا آخر في حالة عدم كفاية الزكاة وغيرها من الفروض المادية لسدّ حاجات التكافل الاجتماعي. وقد تقرر في الفقه الإسلامي أن للحاكم أن يأخذ من أموال الناس ما يسدّ حاجة المجتمع، وبهذا يتبين أن التشريع الإسلامي عرف قبل أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ما يعرف في العصر الحديث بالتكافل الاجتماعي.

هذه الأمور الأربعة من عناصر القوة المعنوية، التي أشرنا إليها إشارة سريعة، مهمة جدا في نهوض الأمة وارتقائها، ذاك لأن الإخلال بها يؤدي إلى عواقب وخيمة كما سيأتي في المبحث الآتي إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: عناصر القوة الحسية.

المراد بالقوة الحسية هنا: إعداد العدة، واتخاذ التدابير اللازمة، وسلوك الطرق المناسبة، لحماية مكاسب الدولة، والحفاظ على أسباب نهضتها، وذلك بمقارعة الأعداء المتربصين بها، والاجتهاد في الوصول إلى القوة العسكرية التي وصلوا إليها، مع التميز باستخدامها، والتفوق عليهم فيها، وهذا ما أمرنا الله تعالى به في كتابه الحكيم إذ يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ الآية[١٥].

ويندرج تحت هذا المطلب: إعداد القوة التي أمر الله تعالى بها كما تقدم في الآية السابقة، وذلك تحقيق لما يسمى في زماننا باستراتيجية الردع، والعمل على تحقيق الوحدة، ووفرة الإنتاج، وحماية المكاسب، وتطوير القدرات.

ولنقف عند الأمر الإلهي بإعداد القوة، لما لها من أهمية بالغة في تحقيق الأمن والسلام، وما يتبعه من إنتاج وتطوير، وسنعرض باختصار مذاهب العلماء في بيان المراد بالقوة في الآية الكريمة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ذهب العلماء في بيان المراد بالقوة في الآية الكريمة مذاهب، أظهرها:أن المراد بها الرمي لما صح عن النبي ﷺ أنه قال على منبره ثلاثا: (ألا إن القوة الرمي)[١٦] .

---

١٥ سورة الأنفال، آية: ٦٠.

١٦ أخرجه مسلم من حديث عقبة بن عامر الجهني. رضي الله تعالى عنه. برقم ١٩١٧ في كتاب الإمارة باب: فضل الرمي والحث عليه ١٥٢٢/٣.

ولو حملنا قوله صلى الله عليه وسلم هذا على أنه حصر لمعنى الكلمة، وتحديد لبيان المراد منها، لما جاز لأحد أن يعمل فكره فيها، إذ لا بيان بعد بيان رسول الله ﷺ، ولكن كثيرا من العلماء يرى: أن النبي ﷺ إنما أراد بيان أهم أنواع الأسلحة وأكثرها أثرا، وأن قوله هذا نظير قوله ﷺ: (الحج عرفة)[١٧] ، وقوله ﷺ: (الندم توبة)[١٨] .

فكما أن ذكر عرفة لا ينفي اعتبار الإحرام والطواف وغيرهما من أركان الحج، وكما أن ذكر الندم لا ينفي اعتبار الاستغفار والإقلاع عن المعصية من لوازم التوبة، كذلك فإن ذكر الرمي لا ينفي اعتبار نوع آخر من أنواع الأسلحة.

وإلى هذا ذهب الإمام ابن جرير الطبري حيث قال . رحمه الله تعالى . بعد أن ذكر الأقوال: والصواب من القول في ذلك أن يقال:

إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوّه وعدوّهم من المشركين من السلاح والرمي وغير ذلك ورباط الخيل، ولا وجه لأن يقال: عنى بالقوة معنى دون معنى من معاني القوة، وقد عمّ الله الأمر بها.

فإن قال قائل: فإن رسول الله ﷺ قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله: (ألا إن القوة الرمي) قيل له: إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك فليس في الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوة عليهم، فإن الرمي أحد معاني القوة، لأنه إنما قيل في الخبر: (ألا إن القوة الرمي) ولم يقل: دون غيرها.

ومن القوة . أيضا . السيف والرمح والحربة، وكل ما كان معونة على قتال المشركين، كمعونة الرمي أو أبلغ من الرمي فيهم وفي النكاية منهم[١٩] .

---

١٧ أخرجه النسائي في فرض الوقوف بعرفة من حديث عبد الرحمن بن يعمر . رضي الله تعالى عنه . ٢٥٦/٥، والترمذي برقم ٨٨٩ في كتاب الحج باب: ٥٧ وقال: والعمل على حديث عبد الرحمن بن يعمر عند أهل العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وغيرهم ٢٣٧/٣-٢٣٨، وأبو داود في المناسك بأطول منه برقم ١٩٤٩ باب: من لم يدرك عرفة ١٩٦/٢، والحاكم في كتاب التفسير وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي ٢٧٨/٢.

١٨ أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن مسعود . رضي الله تعالى عنه . ٣٧٦/١، وفي النسخة المحققة برقم ٣٥٦٨ وقال الأستاذ أحمد شاكر . رحمه الله تعالى .: إسناده صحيح ١٩٤/٥، وأخرجه الحاكم وصححه في كتاب التوبة والإنابة . مختصرا ومطولا .، ووافقه الذهبي ٢٤٣/٤.

١٩ انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعارف بمصر، ٣٧/١٤. أقول: العجيب من الإمام الطبري . رحمه الله تعالى . أنه أورد الخبر المذكور من عدة طرق كلها ضعيفة، ثم قال بعد كلامه المتقدم: "هذا من وهاء سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" إ.هـ. وأنت تعلم أن الحديث صحيح، أخرجه مسلم وغيره بإسناد صحيح . كما تقدم في تخريجه ..

وفي هذا يقول الأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة رحمه الله تعالى: ''وقد جاءت الكلمة القرآنية معجزة، فإن المراد بالقوة أسبابها، وهي كل ما يكون به القوة، ولما كانت أسباب القوة. وهي أسلحة الحرب وآلات القتال. تختلف باختلاف العصور، جاءت الكلمة على هذه المرونة الفائقة، التي جعلتها صالحة لكل زمان ومكان، وكذلك جاء المفسر. بكسر السين المشددة. معجزا كالمفسر. بفتح السين المشددة .، فهما من مشكاة واحدة، فالرمي: كلمة مرنة صالحة لتطور الأسلحة بتقدم الزمان، فإن كلمة الرمي يدخل فيها: الرمي بالقوس والنبال، والرمي بالحراب، والرمي بالمنجنيق، ويدخل فيها أيضا كل ما استُحدِث فيما بعد كالرمي بالمدفع، والقنابل الذرية والهيدروجينية والصواريخ ونحوها''[٢٠].

فالراجح إذاً: أن لفظ القوة في الآية الكريمة عام، وأن النبي ﷺ ذكر أهم أنواعه، وهذا هو الظاهر من سياق الآية، ولا تنحصر القوة في آلات القتال، بل تتناول جميع وجوهها: الاقتصادية والسياسية والعلمية، ونحو ذلك من كل ما من شأنه إضعاف شوكة العدو، وإعزاز الأمة ورفع كلمتها، والنهوض بها. والله أعلم[٢١].

وممن قال بعموم لفظ القوة شيخا التفسير بالمأثور: ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم الرازي. رحمهما الله تعالى .، وقد أخرجا عن مجاهد: أن رجلا لقيه يتجهز إلى الغزو ومعه جوالق فقال مجاهد: وهذا من القوة، وأخرجا عن السدي أنه قال: السلاح، وذكر ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان أنه قال: السلاح وما سواه من قوة الجهاد، وذكر عن أبي صخر حميد بن زياد أنه قال: القوة: العدة، إعداد ما استطعت لهم من عدة[٢٢].

ونقل ابن عطية ما تقدم عن الطبري ومجاهد رحمهم الله تعالى وقال: وهذا هو الصواب، والخيل والمركوب في الجملة والمحمول عليه من الحيوان والسلاح كله،

---

٢٠ انظر: شيخنا الأستاذ الدكتور محمد محمد أبي شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ص ٧٥.

٢١ انظر: عيادة أيوب الكبيسي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ص ٨٢-٨٦.

٢٢ انظر هذه الآثار في: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعارف بمصر، أرقام: ١٦٢٣٠-١٦٢٣٢. تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، أرقام ٥٧١-٥٧٥، في تفسير هذه الآية الكريمة.

والملابس الباهية، والآلات والنفقات كلها داخلة في القوة، وأمر المسلمين بإعداد ما استطاعوا من ذلك، ولما كانت الخيل هي أصل الحروب وأوزارها، والتي عقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوى، وحصون الفرسان، خصها الله بالذكر تشريفا، على نحو قوله: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾[٢٣]. وعلى نحو قوله: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[٢٤]. وهذا كثير[٢٥].

وممن ذهب إلى عموم اللفظة ـ أيضا ـ الإمام الرازي فقد قال رحمه الله تعالى: "..وكل ما هو آلة للغزو والجهاد فهو من جملة القوة.."[٢٦].

استراتيجية الردع:

لا بد من التنويه هنا إلى أمر في غاية الأهمية، لا يصح إغفاله عند الحديث عن القوة وآلات الحرب ومقارعة الأعداء وفق ما جاء في شريعة الإسلام، ألا وهو: ما يسمى في زماننا باستراتيجية الردع، فلا يفهم مما تقدم أن الإسلام يحرص على الحرب وإراقة الدماء، كيف؟ وهو دين السلام، وأن الأصل فيه أن المحبة والتعارف هما اللذان يجب أن يسودا بين الشعوب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[٢٧].

وما إعداد العدة ـ على ما تقدم بيانه ـ إلا لردع العدو، وكبح جماح الباطل، ومن المعلوم في السياسة العسكرية: أن إظهار القوة للأعداء وإخافتهم يحقق النصر عليهم، ويؤدي إلى تحقيق الأهداف أكثر من أيّ وسيلة أخرى من وسائل مواجهة الأعداء.

---

٢٣ سورة البقرة، آية: ٩٨.

٢٤ سورة الرحمن، آية: ٦٨.

٢٥ انظر: عبد الحق بن عطية الأندلسي، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الدوحة، قطر، ٣٥٧/٦، يريد بهذا أنه من باب عطف الخاص على العام.

٢٦ انظر: محمد بن ضياء الدين عمر الرازي، التفسير الكبير "مفاتيح الغيب"، دار الفكر، بيروت، ١٩١/١٥-١٩٢.

٢٧ سورة الحجرات، آية: ١٣.

والمدهش أن نظرية الردع –التي هي أول نظرية حربية في الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا–، تعتبر في هذا القرن الذي نعيشه اليوم مفتاح الاستراتيجية المعاصرة، وقد وصل إليها الفكر العسكري العالمي بعد معاناة قاسية وطويلة في حروب طاحنة اكتوى العالم بنارها، وذلك ما يعبّر عنه الجنرال أندريه بوفر[٢٨] بقوله: ''إن رجل القرن العشرين الذي تلاحقه مآسي الحربين العالميتين ''١٩١٤-١٩١٨ و١٩٣٩-١٩٤٥م''، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ربما وجد أخيرا الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسي، وهي استراتيجية الردع''.

ولا بد لنا من التأكيد على ما تتميز به استراتيجية الردع الإسلامي من نوايا سامية، فالمعروف أن نظرية الردع المعاصرة ظهرت وارتبطت بالتوازن النووي، فطالما هناك توازن بين القوى العظيمة في القوى النووية فإن احتمال قيام الحرب بينهما يكون بعيدا جدا، بسبب قدرة كل جانب على الردّ والانتقام إذا ما وجهت إليه الضربة المدمرة أوّلا[٢٩].

وإذا ما أمنت الأمة من الحروب وويلاتها، أمكنها أن ترسي دعائم نهضتها، وتواصل مسيرتها في ذلك بأمن وسلام كما لا يخفى.

المبحث الثاني:
عواقب عدم الأخذ بعناصر القوة

بعد أن عرفنا شيئا عن عناصر القوة الحسية والمعنوية، واتضح لنا مدى أهمية تلك العناصر في نهضة الأمة، نعرض هنا ما يترتب على عدم الأخذ بتلك العناصر من عواقب، ونجملها في مطلبين:

الأول: في عدم الأخذ بالعناصر المعنوية، والثاني في عدم الأخذ بالعناصر المعنوية.

---

٢٨ أندريه بوفر، جنرال فرنسي واستراتيجي حرب، شارك في الحرب العالمية الثانية، (ت١٩٧٥م). ويكيبيديا.

٢٩ انظر: اللواء الركن محمد جمال الدين علي محفوظ، ١٤٠٠هـ، بحث: الجانب العسكري من حياة الرسول ﷺ، بحوث المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية، الدوحة، قطر، ٤/٥١٩-٥٢٠.

المطلب الأول: عواقب الإخلال بالعناصر المعنوية.

إذا كانت عناصر القوة المعنوية تتمثل في الإيمان بالله تعالى، ومراقبته وطاعته، وتهذيب النفوس، واكتساب العلوم النافعة وما إلى ذلك، فلا شك أن الإخلال بذلك يؤدي إلى أضداد هذه العناصر، مما ينعكس سلبا على نهضة الأمة، ويعوق رقيها وازدهار حضارتها.

فزعزعة الإيمان، وضعف اليقين، يؤدي إلى التحايل والتلاعب، والغش في العمل وعدم الإخلاص فيه، لغياب مراقبة الله أو ضعفها في النفوس حينئذ، والاكتفاء بمراقبة القانون، الذي قد يسهل التملص منه ولو في بعض الأحيان، فأين هذا من الرقابة الذاتية التي تجعل الشخص في إتقان دائم وإخلاص مستمر؟!!

وإذا خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب[٣٠]

وهل كثر الغش والخداع والمراوغة، وسوء التصنيع وعدم الإتقان وقلة الإنتاج إلا من ضعف هذه المراقبة؟!

وأما إهمال النفوس وعدم تزكيتها، فنذير شؤم على الأمة بأسرها، وكم جر ذلك من ويلات وويلات، بل إن عناصر القوة على تعددها وتنوعها بما فيها العلم، قد تعود وبالا وشرا، وعدوانا وإساءة، وهل الاضطرابات الداخلية، وتناحر الجماعات، وتصارع الأحزاب، وتفرّق الكلمة، وانفراط عقد الأمة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، وما أشبه ذلك، مما يكون سببا للفرقة والتمزق، والكراهية والبغضاء إلا لون من ألوان عدم تزكية النفوس؟!

"إن التربية المادية في تطبيقاتها المختلفة على مر العصور، ركزت على جسد المتعلم أو الناشئ، وأغفلت الجوانب الروحية فيه، فعاملته كآلة أو ترس في آلة، فأشقت الإنسان وشقيت به فردا وجماعة ردَحًا من الزمن، وفي الوقت نفسه فإن التربية التي جنحت إلى الإغراق في الروحانيات ـ كما تتصور ـ وخاصة التربية المثالية والمتمثلة في المجتمعات الأوروبية في العصور الوسطى، قد عطلت إبداعات الإنسان

٣٠ من قصيدة لأبي العتاهية (ت٢١٠هـ)، ديوان أبي العتاهية (ص٣٤).

وكبّلته بتصورات جوفاء كاذبة، جعلته ينظر إلى الدنيا وما فيها على أنها رجس من عمل الشيطان، ولا شك أن الكائن البشري يحتاج إلى تنمية عقله ومعارفه ومداركه ومعلوماته، وذلك يتحقق عن طريق التعليم، كما أنه يحتاج إلى تنمية قدراته ومهاراته واتجاهاته وميوله البدنية والوجدانية والاجتماعية، وذلك يتحقق من خلال التربية بأوسع معانيها.

ويلاحظ أن الجانبين السالفين يحظيان بالاهتمام الأوفر عند رجال التربية ومؤسساتها في العصر الراهن، وخاصة في البلدان المتقدمة مدنية وصناعة وتقنية وتطورا تربويا ماديا، إلا أن هناك جانبا ثالثا وعنصرا مهما، ألا وهو تطهير أخلاق الناشئ وتنقية سلوكه وتصفية وجدانه من كل السلبيات والنقائص والعيوب والأخطاء والانحرافات، وفي المقابل ترسيخ كل ما هو إيجابي وخيّر وفاضل من الأخلاق والسلوك والوجدان، وذلك ما يتحقق من خلال ما يعرف في ثقافتنا الإسلامية بالتزكية، وهو الجانب الذي ينبغي أن توليه التربية جل اهتمامها، فإن لم يكن فلا أقل من أن يأخذ نصيبه المتوازن مع بقية الجوانب"[٣١].

وأما التقصير في اكتساب العلوم النافعة، وما يسببه من انحسار هائل في حضارة الأمة، وتقهقر سريع في نهضتها، فأمر واضح غير خاف، وكم خسرت الأمة حين تقهقر العلم في الخلف بعد ما شيد بنيانه السلف، ذلك العلم الذي كان نورا يشع في أروقة جامعات قرطبة وإشبيلية ردحا من الزمن، لقد كانت المصابيح تضيء أرض المسلمين بينما كانت فرنسا تنام في ظلام دامس، ولقد اعترف المنصفون من رجال العلم في أوروبا بأن العلوم الإسلامية كانت السبب في حضارتهم وتقدم معارفهم، "وها هو الدكتور غريسيب رئيس أطباء المعهد الألماني في برلين يضع النقاط على الحروف، معترفا بالفضل والجميل كاشفا الحقيقة في أبهى وضوحها، حين يقف خطيبا يلقي كلمة أقامها الطلاب المسلمون في برلين احتفالا بذكرى المولد النبوي الشريف، ومما قاله الدكتور غريسيب في خطابه:

٣١ انظر: الدكتور نايف حامد همام الشريف، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، بحث: "مفهوم التزكية وتطبيقاتها في التربية الإسلامية"، المنشور في مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، عدد ٤.

أيها الطلاب المسلمون، نحن الأوروبيين مدينون لكم، ولتلك القافلة العظيمة التي كانت عندكم، بل ولا يزال العجب يأخذ منا كل مأخذ، عندما نتذكر ابن سينا والرازي وابن الهيثم وغيرهم.. أيها الطلبة المسلمون، والآن قد انعكس الأمر، فنحن الأوروبيين يجب أن نؤدي ما علينا تجاهكم فما هذه العلوم إلا امتدادا لعلوم آبائكم وشرحا لمعارفهم ونظرياتهم، فلا تنسوا أيها الطلبة تاريخكم وعليكم بالعمل المتواصل لتعيدوا مجدكم الغابر طالما أن كتابكم المقدس عنوان نهضتكم ما زال موجودا بينكم، ومحفوظا عندكم فارجعوا إلى الماضي لتؤسسوا المستقبل، ففي قرآنكم علم وثقافة ونور ومعرفة وسلام عليكم يا طلابنا بعد أن كنا في الماضي طلابكم"!!

وهذه كلمة منصفة، فيها اعتراف صريح بما كان عليه المسلمون من تقدم في العلوم والمعارف، ونصح صادق للخلف أن يترسموا خطوات السلف، إن أرادوا لنهضتهم أن تعود، ولأمتهم أن تسود.

وقال العلامة دريبر المدرس في جامعة نيويورك في كتابه "المنازعة بين العلم والدين": "كانت ترجمات المسلمين العلمية المصدر الوحيد للتدريس في جامعات أوروبا نحو ستة قرون، ويمكننا أن نقول: إن تأثير المسلمين في بعض العلوم كعلم الطب مثلا دام إلى الزمن الحاضر" [٣٢].

فتأمل كيف حصل الخلل في العالم الإسلامي، وكم كان تقصير الخلف عما سنه لهم أسلافهم، فلو أن التقدم العلمي الهائل اليوم كان بيد المسلمين الذين يخافون الله لكان حال الدنيا غير ما هي عليه الآن.

وقل مثل هذا في سائر وجوه الإخلال بالعناصر المعنوية، إذ كلها تؤدي إلى عرقلة النهوض بالأمة، وتؤخر مسيرتها في التقدم والرقي المنشود، مما يحتم على الجميع العمل بجد وحزم على إزاحة تلك العراقيل، ورفع كافة المعوقات التي كانت السبب في هذا التقهقر والنكوص.

٣٢ انظر: الشيخ أحمد كفتارو، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، مقال "الإسلام والمجتمع المثالي"، المنشور بمجلة الدراسات الإسلامية التي تصدر عن مجمع الأبحاث الإسلامية، راولبندي، باكستان، عدد ٤ مجلد ٢.

المطلب الثاني: عواقب الإخلال بالعناصر الحسية.

لقد كان ملائكة الرحمن صادقين عندما قالوا لربهم تبارك وتعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، ولذا فقد أقرهم سبحانه وتعالى على هذا القول فلم ينكره، وإنما قال لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. ثم بين لهم وجه الحكمة بعد أن علم آدم الأسماء كلها، كما بينت ذلك آيات صدر سورة البقرة.

فالإفساد في الأرض وسفك الدم بغير حق، أمر مستمر في بني آدم، لم يتوقف في عصر من العصور على مرّ التاريخ الطويل، منذ أن سفك قابيل دم أخيه هابيل، حيث كان أول دم بشري يسفك في الأرض بغير حق، ثم استمر ذلك في بني آدم حتى أيام الناس هذه، والسبب هو استمرار الصراع بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾[٣٣].

لهذا أصبح الاستعداد لدرء الخطر مطلوب بل ومؤكد، ومن هذا المنطلق أوصى الحكيم الخبير عباده المؤمنين بهذا الاستعداد فقال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٣٤].

إذن فالتقصير في هذا الاستعداد، يجعل من الأمة فريسة سهلة لأعدائها، إذ التربص بها حاصل ما دامت تحمل لواء الإيمان، وتدعو إلى الحق، والدليل على استمرار الكفر قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾[٣٥]. جاء في التفسير أن الضمير في قوله تعالى: {منه} يعود إلى القرآن، الذي جاء به النبي الخاتم ﷺ، أو إلى الرسول نفسه ﷺ، ذكر هذا الإمام الرازي وقال: وذلك يدل على أن الأعصار إلى قيام الساعة لا تخلو ممن هذا وصفه[٣٦].

إن هذا التقصير الذي وقعت فيه الأمة مخالفة لهدي سلفها، كان عاملاً أساسياً من عوامل تأخرها، وسببا مباشرا من أسباب تدخل أعدائها في شؤونها، الأمر

---

٣٣ سورة البقرة، آية: ٢١٧.

٣٤ سورة الأنفال، آية: ٦٠.

٣٥ سورة الحج، آية: ٥٥.

٣٦ انظر: محمد بن ضياء الدين عمر الرازي، التفسير الكبير "مفاتيح الغيب"، دار الفكر، بيروت، ٢٣/٥٦.

الذي سبب إثارة الفتن بين أبناء الأمة الواحدة، حتى قامت بينهم حروب، ورسمت في دولتهم مترامية الأطراف حدود، قسمتها إلى دويلات متناثرة، ذات اتجاهات مختلفة كما هو مشاهد في واقعنا.

ولذا كان لزاما الإشارة إلى أهمية الترابط بين التزكية التي تعني التقوى وبين إعداد القوة، إذ في الفصل بينهما مكمن الخطر، وهذا ما سنبينه في الفقرة الآتية.

العلاقة بين التقوى وإعداد القوة:

وبعد أن عرفنا المراد بإعداد القوة المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ** ﴾، نوضح المراد بالتقوى المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [٣٧]. التقوى في اللغة: بمعنى الاتقاء، وهو اتخاذ الوقاية ، والوقاية [٣٨]: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووَقاء [٣٩].

وأما في الاصطلاح: فقد تعددت أقوال العلماء في تعريف التقوى، فمن ذلك:

١. أنها المحافظة على آداب الشريعة.
٢. أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى.
٣. ترك حظوظ النفس ومباينة النُّهي.
٤. أن لا ترى نفسك خيرا من أحد.
٥. الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك
٦. حفظ النفس عما يُؤْثِم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات [٤٠].

---

٣٧ سورة التغابن، آية: ١٦.

٣٨ انظر: علي بن محمد بن علي الجرجاني، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٩٠.

٣٩ انظر: الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ص ٨٨١.

٤٠ انظر في هذا: علي بن محمد بن علي الجرجاني، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ص٩٠. الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ص٨٨١.

٧. التقوى فيما وقع من المكروهات بالندم والإقلاع مع العزم على ترك العود، وفيما لم يقع بالاحتراس عن أسبابه[٤١].

ونختار من هذه التعريفات ما تلتقي عليه، وهو:
المحافظة على آداب الشريعة، وذلك بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، والتسليم للقضاء والقدر، وبذلك تصان النفس عن عقوبة الله تعالى وأسباب سخطه.

ثم إن التقوى مراتب:

أدناها: اتقاء الشرك بالله تعالى، وأعلاها: اتقاء ما سوى الله تعالى، ومنه قول النبي ﷺ: (لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا لما به البأس)[٤٢].

والمراد بالتقوى في الآية الكريمة ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾: بذل الجهد والوسع، أي ابذلوا فيها استطاعتكم، والزموا أوامر الله تعالى ونواهيه، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، والعمل بما يقرب إليه ما أطقتم وبلغه وسعكم[٤٣]، قال مقاتل: أي ما أطقتم، يجتهد المؤمن في تقوى الله ما استطاع[٤٤]، وذلك عين ما يراد بها في الآيات الأخرى، وهو ما تم اختياره في تعريفها، وذلك واجب كل مسلم ومسلمة، وهم يتفاوتون في التقوى بقدر ما يتحلون به من مراتبها.

---

٤١ انظر: إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٣/٢٠.

٤٢ أخرجه الترمذي من حديث عطية السعدي. رضي الله تعالى عنه. برقم ٢٤٥١ وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ٦٣٤/٤، وابن ماجه برقم ٤٢١٥ في كتاب الزهد. باب الورع والتقوى ١٤٠٩/٢، والحاكم في كتاب الرقاق وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ٣١٩/٤. وأحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨هـ، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، رقم ٥٧٤٥. الفصل الثالث في طيب المطعم والملبس ٥٢/٥.

٤٣ انظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعارف بمصر، ٤٢٦/٢٣. جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الفكر، بيروت، ١١٦/٤. محمد جمال الدين القاسمي، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، محاسن التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٥/٧. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ١٤١١هـ/١٩٩١م، دار الفكر المعاصر، بيروت، ٢٥٥/٢٨.

٤٤ انظر: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٥٨٩/٤.

ومما ينبغي التنبيه عليه: أن التقوى لا تعني العصمة، فإن المتقي قد يعصي، غير أنه لا يصر على المعصية، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[٤٥].

ومن هنا نقول: إن المصيبة ليست في المعصية إنما في الإصرار عليها.

فالتذكّر والإبصار من التقوى، وهذا من معاني الاستقامة المستفادة من {ما} المصدرية الظرفية، وهو ما أشار إليه ابن عاشور ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير قوله تعالى {ما استطعتم} حيث قال: ما مصدرية ظرفية، أي مدة استطاعتكم، ليعمّ الأزمان كلها، ويعمّ الأحوال تبعا لعموم الأزمان، ويعمّ الاستطاعات، فلا يتخلوا عن التقوى في شيء من الأزمان[٤٦].

وبعد أن عرفنا المراد بإعداد القوة، والمراد بالتقوى، سنحاول الربط بينهما على النحو الآتي، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إن العلاقة بين ما في الآيتين الكريمتين علاقة عموم وخصوص، حيث إن كل من بذل المستطاع في تحقيق تقوى الله تعالى، لا بد أن يكون قد بذل المستطاع في إعداد القوة التي تناسبه، ولا عكس؛ ذاك لأن إعداد القوة أمر من الله تعالى ـ كما هو بيّن ـ، ومن أركان التقوى امتثال أوامر الله تعالى ـ كما تقدّم في تعريفها ـ، فمن قصّر في هذا مع استطاعته لم يكن ممن تحقق بالتقوى على الوجه المطلوب، وأما غير المستطيع فإن الله تعالى يعذره.

وأما مجرد إعداد القوة فإنه ليس دليلاً على التقوى؛ إذ قد يبذل المرء جهده في إعداد القوة لمواجهة عدوه ولم يكن تقيا لتفريطه فيما سوى هذا من أوامر الله تعالى، بل قد يأثم في إعداد تلك القوة لفساد نيته.

إن غير التقي إذا ملك القوة قد يتصرف فيها وفق هواه وشهوته، وربما أضر بشعبه وأمته، وقد يتهور فيجلب على وطنه الويلات ويوقع أهله في المهالك، ويعرضهم للنكبات، وإن شيئا من هذا لم يكن ليقع لو كانت هناك تقوى، إذ إنها تحتم على صاحبها أن يستعمل القوة في وجهها الصحيح وفق المعايير الشرعية، لأنها

---

٤٥ سورة الأعراف، آية: ٢٠١.

٤٦ انظر: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للطباعة، تونس، ٢٨/٢٨٧-٢٨٨.

تعمل على تزكية النفس فتجعلها منضبطة متزنة، تسير على هدى من الله تعالى وتوفيق من غير إفراط ولا تفريط.

من هنا نرى أن الآيتين الكريمتين تشكلان مقصداً مهماً من مقاصد القرآن، يجعل الشخصية المسلمة ذات صبغة خاصة تميزها عن غيرها، فهي تقية قوية، وقوية تقية، فالتقوى تمنع غالبا من الخمول والكسل، والجبن والتقاعس، وتدعو إلى بذل الجهد والمنافسة لبلوغ ما تستطيع في كبح جماح أعداء الدين وإرهابهم، رحمة لا نقمة، وطلبا للهداية والسلام، لا طمعا في الحروب والخصام.

وإذا ما تم هذا في حياة الأمة ''التقوى وإعداد القوة'' فإنها تكون بذلك قد أدت ما عليها مما كلفها الله تعالى به، وهي بعد ذلك ليست مسؤولة عن النتائج، لأن من لوازم التقوى التسليم لما يقدره الله تعالى، فإن كان النهوض وتم التمكين فتشكر الله تعالى وتطيعه في ذلك، عملا بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[٤٧].

وترسي قواعد العدل بين عباد الله على أرض الله وفق شرع الله، متأسية برسول الله ﷺ حين مكنه الله تعالى في مكة المكرمة، حيث أعلن سماحة الإسلام، ودخل مكة في غاية التواضع لله تعالى، وعفا عمن ظلمه ﷺ، ولكنه لم يتساهل مع من استحق العقاب من المتعنتين وهم بضعة عشر رجلاً كانوا ممن عظمت جرائمهم في حق الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وحق الإسلام، فأمر ﷺ بقتلهم وإن وجدوا متعلقين بأستار الكعبة[٤٨]، كما جاء في سيرته العطرة ﷺ[٤٩].

---

٤٧ سورة الحج، آية: ٤١.

٤٨ فقد أخرج البخاري برقم ٤٢٨٦ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه: أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتله، قال مالك: ولم يكن النبي ﷺ فيما نرى. والله أعلم. يومئذ محرما. كتاب المغازي باب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ٥٧٣/٩، وأخرجه في كتاب جزاء الصيد باب: دخول الحرم ومكة بغير إحرام رقم ١٨٤٦ وذكر الحافظ ابن حجر سبب قتله، ونقل عن ابن عبد البر: أنه قتله قودا من دم المسلم الذي غدر به وقتله ثم ارتد وذكر أسماء الذين لم يؤمنهم النبي ﷺ لا في حل ولا في حرم، والنفر الذين أهدر دمهم النبي ﷺ قبل الفتح، وذكر من أسلم منهم كعكرمة بن أبي جهل وغيره. انظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار أبي حيان، بيروت، ٤٧٩/٥-٥٠٠.

٤٩ انظر: الأستاذ الدكتور محمد محمد أبي شهبة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، ٤٥١/٢. وقال رحمه الله: ومن هؤلاء من قتل، ومنهم من جاء مسلما تائبا فعفا عنه الرسول ﷺ وحسن إسلامه. وانظر: الدكتور

وهكذا علم ﷺ أتباعه . وهو سيد المتقين .، كيف تعمل التقوى عملها في تحقيق العدل والرحمة من غير ذلة ولا تفريط بالحقوق.

وإن كانت الأخرى، فإن التقوى تدعو حينئذ إلى الصبر والتسليم، لأنها علمت المسلم أن ذلك لا يكون إلا لحكمة يعلمها الله تعالى، أو مصلحة خفيت على الناس، أو خلل لم ينتبهوا له، فما يسعهم بعد أن أخذوا بالأسباب على ما يريد الله تعالى إلا أن يقولوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ ٥٠، متأملين قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ ٥١. مصممين على المضي في نصر الله وإعزاز دينه، قائلين ما علمهم ربهم أن يقولوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ ٥٢.

فيكون المسلم في كلتا الحالتين، على هدى من الله، لا يخرج عن الخير الذي أخبر عنه ﷺ: (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراءُ شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرا له) ٥٣.

ولا ريب أن هذا طريق مهم من طرق النهوض بالأمة، لتتبوء مكانتها التي كانت عليها في سالف مجدها.

أثر الفصل بين التقوى وإعداد القوة على نهضة الأمة:

من عظيم فضل الله تعالى على هذه الأمة أن أتم عليها نعمته وأكمل دينه، وامتنّ عليها سبحانه وتعالى بذلك فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ

علي بن محمد الصلابي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، مكتبة الصحابة، الشارقة، ١١٨٣/٢.

٥٠ سورة البقرة، آية: ١٥٦ وهي بتمامها مع التي بعدها: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

٥١ سورة التوبة، آية: ٥١.

٥٢ سورة آل عمران، آية: ١٧٣ وتمام الآية: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

٥٣ أخرجه مسلم برقم ٢٩٩٩ من حديث صهيب بن سنان . رضي الله تعالى عنه . في كتاب الزهد والرقائق باب: المؤمن أمره كله خير ١٠٣/١٨.

﴿ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[٥٤]. فالإسلام دين الكمال، ولا يظهر جماله إلا إذا طبق بكماله.

ونحن هنا أمام دعامتين في غاية الأهمية، وهما:

. بذل الجهد في تقوى الله تعالى.

. بذل الجهد في إعداد القوة كما أمر الله تعالى.

وكمال الإسلام . هنا . إنما يظهر في تحقيق الدعامتين معا، وبالمقابل فإن التفريط بأحدهما يضرّ بالأخرى، والمقتصر على أحدهما من المكلفين لا يعتبر صادق الاتباع متى ما كان قادرا على الجمع بينهما؛ لإخلاله بأمر من أوامر الله تعالى، وذلك له أثر كبير في تأخّر نهضة الأمة، حيث أخلّ بأحد شروط النصر والتمكين التي قال الله تعالى فيها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[٥٥]. إذ نصر دين الله تعالى وطاعته شرط مهم من تلك الشروط.

ومما يؤسف عليه أن ترى الأمة اليوم بمجموعها قد فصلت بين الدعامتين، على عكس ما كان عليه أسلافهم، فكان من نتائج ذلك:

. أن من أغفل جانب إعداد القوة، واهتمّ بجانب من التقوى[٥٦] .كالعبادات ونحوها .، آل أمره إلى واحد من اثنين: إما أن يمالئ الأعداء ويسايرهم، كما هو واقع بعض بلاد المسلمين، وإما أن يُضرب فلا يستطيع الصمود[٥٧] أمام عدوه كما هو واقع بعض آخر!! وكيف يصمد وهو لا يملك من السلاح ومقومات الثبات ما يملك عدوه؟.

وأما من أغفل جانب التقوى، واجتهد في إعداد القوة، فقد أساء استخدامها، وذلك من ناحيتين:

الأولى: الإساءة إلى إخوانه وجيرانه من المسلمين، وإرهابهم بدل أن يرهب أعداءهم.

والثانية: التصرف الخاطئ في استعمال تلك القوة، بما كان سبباً في إلحاق الأذى بالأمة والإضرار بمصالحها.

---

٥٤ سورة المائدة، آية: ٣.

٥٥ سورة محمد، آية: ٧.

٥٦ إنما قلنا بجانب من التقوى، لأن التفريط في إعداد القوة مع الاستطاعة ليس من التقوى في شئ.

٥٧ صمد صمدا وصمودا: ثبت واستمر، ومنه قول علي . رضي الله تعالى عنه: "صمدا صمدا حتى يتجلى لكم عمود الحق"، أي: ثباتا ثباتا. إبراهيم أنيس وغيره، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، المعجم الوسيط، القاهرة، ٥٢٢/١، مادة: صمد.

ولسنا بحاجة إلى ضرب أمثلة على هذا، لأن الأمر بين واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان وتوضيح، والأمثلة كثيرة متعددة، لا تخفى على من يعيش في هذا الزمن المليء بالمآسي المريرة[٥٨] التي ألمت بالمسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن غياب التقوى في حياة المسلمين، قد غير مجرى الأمور إلى غير صالحهم، ولو أن تكاتفا تمّ بين الفريقين، وربطا حصل بين الدعامتين، لكان حال المسلمين اليوم شبيها بحال أسلافهم يوم كانوا سادة الدنيا وقادة العالم.

إن واقع المسلمين المعاصر يقتضي دراسة متأنية، قائمة على التبصر والتحليل، للخروج بالدروس النافعة، ومن أبرزها: تشخيص الداء العضال بصورة بينة، في ضوء الأخطاء والتجارب، مع المقارنة بين ماضي الأمة وحاضرها، ثم وصف الدواء الناجع بصورة دقيقة، والإرشاد إلى كيفية استعماله بنصح صادق، وهمة قوية وعزم أكيد، يقوم على نية صافية، وإخلاص صحيح.

وإن هذه الأمة لعلى خير كثير، وهي عائدة إلى المنابع الصافية بلا ريب، ومتمسكة بهديها، حيث إن أكثرها بدأ يدرك أن لا نجاة مما هي فيه إلا بذلك.

فمن الحقائق المسلمة: أن كثيراً من مسلمي اليوم - إن لم نقل أكثرهم - غدا على علم بداء الأمة ودوائها، ولكن المشكلة في القدرة على استعمال الدواء وكيفية استعماله!! فهي أشبه بمريض علم داءه ووقف على دوائه، ولكنه لا يدري كيف يستعمله؟ فهو في حيرة من أمره، يحتاج إلى من يعينه!

وصدق من قال: "ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها"[٥٩]، وإن ذلك لكائن عن قريب بإذن الله تعالى، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[٦٠].

---

٥٨ مر الشيء مرارة: صار مرا، فهو مرير، وهي مريرة، والجمع مرائر. المرجع السابق ٨٦٢/٢ مادة: مر.

٥٩ نقله القاضي عياض في الشفا عن الإمام مالك في المبسوط، انظر: القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، دار الفكر، بيروت، ٨٨/٢. وانظر: الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي المعروف بابن الحاج، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، دار الفكر، بيروت، ٢٦٢/١.

٦٠ سورة التوبة: آية ٣٢، وتمامها: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. وفي سورة الصف، آية ٨: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

إن أهم ما ينبغي أن تلاحظه الأمة إذا أرادت النهوض والريادة: أن يكون ثمة ترابط وتكاتف بين العناصر الفاعلة في الأمة، ذلك أن الكمال الإنساني لم يتحقق إلا في أفراد خمسة . بعد رسول الله ﷺ، حيث كان كل فرد منهم في عهده يمثل الكمال الإنساني في أبهى صوره، وأصبح منارا يقتدى به في كل خلق ديني أو دنيوي، وهم:

أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلي الكرّار . رضي الله تعالى عنهم، ويلحق بهم المجدد الأول عمر بن عبد العزيز . رضي الله تعالى عنه .، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى .كما يقول ابن حجر . باتصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها [٦١].

فنجد كل واحد من هؤلاء في زمانه هو: القائد العسكري، والحاكم الأعلى في الدولة الإسلامية، والمرشد المربي، والفقيه المفتي، والتقي العابد الزاهد، ونحو ذلك من صفات الكمال البشري، فكان قدوة خلقا وهديا، وأسوة حسنة في كل كمال، مما لا نجده في غير هؤلاء من أفراد الأمة، حيث تفرقت فيهم الكمالات، فقد نجد القائد ولا نجد فيه الفقيه، وقد نجد الحاكم ولا نجد فيه المرشد والمربي، وبالعكس، فلم يعد المجدد الذي أخبر عنه النبي ﷺ بقوله: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[٦٢] ، جامعاً لهذه الصفات، فقد يكون متصفا ببعض تلك الصفات كأن يكون فقيهاً أو محدثاً أو قارئاً أو واعظاً.

---

٦١ انظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار أبي حيان، بيروت، ١٢٧/١٧.

٦٢ أخرجه أبو داود برقم ٤٢٩١ من حديث أبي هريرة . رضي الله تعالى عنه . في كتاب: الملاحم باب: ما يذكر في قرن المائة ٣٥/٥، والطبراني في الأوسط برقم ٦٥٢٣، ٢٧٢/٧، بسند صحيح ورجاله كلهم ثقات كما يقول ملا علي القاري في المرقاة شرح المشكاة ٣٠٢/١، والخطيب البغدادي في ترجمة الإمام الشافعي . رضي الله تعالى عنه . ٦١/٢-٦٢، والحاكم في كتاب الفتن والملاحم وسكت عنه وتبعه الذهبي ٥٢٢/٤، ولكن قال المناوي في فيض القدير٢٨١/٢-٢٨٢ رقم ١٨٤٥، وملا علي القاري في شرح المشكاة ٣٠٢/١، والعجلوني في كشف الخفا ٢٤٣/١: إن الحاكم صححه، ونقل المناوي . أيضا . عن الزين العراقي وغيره أنه قال: سنده صحيح،وذكره ولي الدين التبريزي في مشكاة المصابيح برقم ٢٤٧ في كتاب العلم ٨٢/١ وقال: رواه أبو داود، و ابن كثير في مواضع من كتابه البداية والنهاية فقد ذكره في الأخبار عن أمور وقعت في دولة بني العباس ٢٨٩/٦، وفي ترجمة الإمام الشافعي ٢٥٣/١٠، وفي ترجمة عمر بن عبد العزيز ٢٣٢/٦، والسيوطي في الدرر المنتثرة ص٢٧، وفي الدر المنثور ٣٢١/١، و المتقي في كنز العمال برقم ٣٤٦٢٣ في المجدد على رأس كل سنة ١٩٣/٢، و الألباني في سلسلته الصحيحة برقم ٥٩٩ وقال: السند صحيح ورجاله ثقات رجال مسلم ١٥١/٢.

قال ابن حجر . بعد ذكر عمر بن عبد العزيز كما تقدم .: ومن ثم أطلق أحمد أنهم كانوا يحملون الحديث عليه، أما من جاء بعده فالشافعي وإن كان متصفا بالصفات الجميلة إلا أنه لم يكن القائم بأمر الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا: كل من كان متصفا بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المراد سواء تعدد أم لا[٦٣] . مما يقتضي الأمة أن تعود إلى سيرة أسلافها، وأن تتعاون على البر والتقوى، وأن يكون التواصل قائما بين الفقيه والقائم بالأمر والزاهد والمرشد والمربي وغيرهم ممن اختصه الله تعالى بشيء من تلك الصفات المحتاج إلى تجديدها.

وقد كان هذا حاصلا في العصور الزاهرة، حيث كان الحاكم يرجع إلى الفقيه ويأخذ عنه الأحكام التي يسيّر في ضوئها شؤون الدولة الإسلامية، وهكذا، بمعنى أنه لا استبداد بالرأي ولا ما يسمى في عصرنا بـ ''الدكتاتورية''، بل هناك شورى وتناصح وتعاون على البر والتقوى، حتى دبّ في الأمة داء الأمم من قبلها، فحصل الانفصال، وإعجاب كل ذي رأي برأيه!!

إننا بحاجة إلى التأمل والتبصر، والاعتراف بالتقصير، وتصحيح الخطأ، حتى لا نخطئ فهم القرآن.

وعلى الأمة أن تنهض في المطالبة بالعودة إلى تحقيق مبدأ الشورى والتكاتف والتعاون بين الراعي والرعية، والصدق في النصح وإرادة الخير، ونبذ التسلط والتعالي، والانتصار على النفس بعدم الانفراد بالرأي وفرضه بالقوة، ورحم الله حافظ إبراهيم إذ يقول:

رأي الجماعة لا تشقى البلاد به رغم الخلاف، ورأي الفرد يشقيها[٦٤] .

---

٦٣ انظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار أبي حيان، بيروت، ١٢٧/١٧.

٦٤ حافظ إبراهيم (ت١٩٣٢م)، شاعر مشهور من أب مصري وأم تركية، لقب بشاعر النيل وشاعر الشعب. والبيت المذكور من قصيدته الطويلة في سيرة عمر بن الخطاب . رضي الله تعالى عنه .، في ديوانه (ص٩١) فقرة: "عمر والشورى"، ومطلع هذه الفقرة:

يا رافعاً راية الشورى وحارسها جزاك ربك خيراً عن محبّيها

لم يلهك النزع عن تأييد دولتها وللمنيـة آلام تعانيهـا

وقبل هذا البيت: وما استبدّ برأي في حكومتـه إن الحكومة تغري مستبدّيها.

والله تعالى ناصر دينه لا محالة، والأمة عائدة بإذن الله تعالى إلى سالف مجدها وأيام عزها، وستقود العالم من جديد على هدى من الله وبصيرة كما قادته من قبل، والله جل وعلا هو الموفق والمستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

الخاتمة:

نسأل الله تعالى حسنها

وبعد هذا التطواف السريع في بيان عناصر القوة، أذكر أهم ما أسفر عنه البحث من نتائج بشكل نقاط محددة على النحو الآتي:

١. إن عناصر القوة بمجملها تنقسم إلى قسمين رئيسين: عناصر حسية وعناصر معنوية، وقد كانت الأمة آخذة بهما في سالف مجدها، مما جعلها تحتل مكان الصدارة في العالم عدة قرون.

٢. إن نهوض الأمة واستعادة مكان الريادة الذي كانت عليه، أمر ممكن غير متعذر شريطة أن تسلك الخطوات التي سلكتها من قبل.

٣. من خلال دراسة العناصر بقسميها الحسية والمعنوية، تبين أن نجاح العناصر الحسية متوقف على نجاح العناصر المعنوية.

٤. إن الإخلال بأي نوع من تلك العناصر سبب مهم في انتكاس الأمة وتأخر نهوضها وارتقائها.

٥. إن الاهتمام بإعداد القوة التي هي من أبرز عناصر القوة الحسية، لا يعني حبّ القتال والسيطرة على الآخرين، ولكنه من باب استراتيجية الردع، ولذا قال تعالى: ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾.

٦. من مبادئ الإسلام الخالدة قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾، وهي آية محكمة تمثل الصورة الناصعة لمشروعية الجهاد في الإسلام.

٧. من الأسباب المهمة في نهضة الأمة: التكاتف بين الفقهاء والأمراء، وإعطاء كل ذي حق حقه، ومعرفة كل فرد في الأمة ما له وما عليه.

٨. إن الذين تحقق فيهم الكمال الإنساني بعد رسول اللهﷺ خمسة، وهم: أبو

بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم، ثم تفرقت الكمالات في الأفراد من بعدهم، ومن ثم لزم التعاون والتآزر.

٩. بين الاستطاعة في آية: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾، وآية: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ترابط، لا سبيل لنهوض الأمة إلا بمراعاة ذلك.

المقترحات والتوصيات:

وفي ختام هذا العرض السريع، في بيان عناصر القوة بين الأخذ والترك، وأثر ذلك في نهضة الأمة، أذكر بعض المقترحات والتوصيات في أربع نقاط محددة على النحو الآتي:

١. بث الوعي في أفراد الأمة للتغيير الذاتي، إذ هو المفتاح الذي منحنا الله تعالى إياه للنهوض، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾، وحتى يكون الإحساس بالمسؤولية لدى كل فرد مسلم.

٢. تضافر الجهود على إيجاد المراكز التي تختص بتخريج الدعاة الأكفاء المخلصين، الذين يبعثون روح العمل ومضاعفة الجهود في النهوض بالأمة إلى ما تصبو إليه من سؤدد ورقي.

٣. غرز فكرة إمكان النهوض بالأمة واستعادة مكانها الريادي والقيادي في العالم في نفوس المسلمين، وذلك لما أودع الله تعالى فيها من قدرات، وما منحها من إمكانات، وما يسر لها من أسباب.

٤. العمل على إيجاد مجمع يعنى بسبل النهوض بالأمة، يتم من خلاله تداول الآراء ومناقشتها، على غرار المجامع الفقهية والمجامع الأخرى.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

. أحمد، أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني ت ٢٤١هـ، مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت.

. الأصفهاني، العلامة الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى ت في حدود ٤٢٥هـ وقيل: غير ذلك، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ط٢، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق.

. أنيس، الدكتور إبراهيم أنيس وغيره، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ط٢، المعجم الوسيط، القاهرة.
. البخاري، الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ت ٢٥٦هـ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه المشهور بصحيح البخاري، مع شرحه فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، دار أبي حيان، بيروت.
. البقاعي، الإمام برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ت ٨٨٥هـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند.
. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨هـ، شعب الإيمان، تحقيق محمد العبد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.
. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، ت٢٩٧هـ، سنن الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.
. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني ت ٨١٦هـ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت.
. الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري ت ٣٩٣هـ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ط٢، الصحاح في اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، طبع على نفقة المحسن الكبير السيد حسن الشربتلي.
. ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، الإمام عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي، ت٣٢٧هـ.
. ابن الحاج، الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري المالكي المعروف بابن الحاج ت ٧٣٧هـ، المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات، دار الفكر، بيروت.
. حافظ، حافظ إبراهيم، ١٩٨٧م ط٣، ديوان حافظ إبراهيم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
. الحاكم، الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم ت ٤٠٥هـ، المستدرك على الصحيحين في الحديث، مكتبة المعارف بالرياض.

. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السِّجِسْتاني، ت٢٧٥هـ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ط١، سنن أبي داود، تحقيق محمد عوّامة، مؤسسة الريان، بيروت.
. الرازي، الإمام محمد بن ضياء الدين عمر الرازي المشتهر بابن خطيب الري ت٦٠٦هـ، التفسير الكبير "مفاتيح الغيب"، دار الفكر، بيروت.
. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت ١٢٠٥هـ، تاج العروس من جواهر القاموس، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
. الزحيلي، وهبة الزحيلي، ١٤١١هـ/١٩٩١م ط١، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت.
. الزمخشري، الإمام أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م ط١، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الفكر، بيروت.
. أبو شهبة، شيخنا الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م ط٣، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق.
. أبو شهبة، شيخنا الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.
. الصلابي، الدكتور علي بن محمد الصلابي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، مكتبة الصحابة، الشارقة.
. الطبري، محمد بن جرير الطبري ت٣١٠هـ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر.
. ابن عاشور، الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للطباعة، تونس.
. ابن عطية، الإمام أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ت ٥٤١هـ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م ط١، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، قطر، الدوحة.
. عياض القاضي، أبو الفضل عياض اليحصبي ت ٥٤٤هـ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، بيروت.
. الغزالي، الشيخ محمد الغزالي ت ١٤١٦هـ، هذا ديننا، دار الشروق، القاهرة.
. الفيروزآبادي، العلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ت٨١٧هـ، القاموس

المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
. القاسمي، العلامة محمد جمال الدين القاسمي ت ١٣٣٢هـ، سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ط١، محاسن التأويل، تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي ت٦٧١هـ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م ط٢، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة
. ابن كثير، الإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت ٧٧٤هـ، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
. الكبيسي، عيادة أيوب الكبيسي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ط٢، أبرز أسس التعامل مع القرآن الكريم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي.
. محفوظ، اللواء الركن محمد جمال الدين علي محفوظ، ١٤٠٠هـ، بحث: الجانب العسكري من حياة الرسول ﷺ، بحوث المؤتمر العالمي الثالث للسيرة النبوية، الدوحة، قطر.
. محفوظ، اللواء الركن محمد جمال الدين علي محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية، دار الاعتصام، القاهرة.
. محفوظ، اللواء الركن محمد جمال الدين علي محفوظ، سلسلة نظريات الإسلام العسكرية، دار الاعتصام، القاهرة.
. مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المشهور بصحيح مسلم، تحقيق وتعليق وفهرسة محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
. ابن منظور، الإمام أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ت ٧١١هـ، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣هـ، سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ط٣، سنن النسائي، بعناية الشيخ عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.